

الأحداث التاريخية في أعمال تولستوي

=====

يحتل التاريخ مكانا هاما في أعمال تولستوي الأدبية ، فقد كتب في ستينات القرن الماضي الملحة التاريخية الرائعة "الحرب والسلام" ثم وضع بعد ذلك أفكارا لروايات تتناول عصر بطرس الأول ولكنه لم يتمكن من كتابتها وإتمامها كما كان مخططا وفي نهاية حياته كتب القصة العظيمة "الحاج مراد".

يرى تولستوي أن الحدث يصبح تاريخا بعد مرور ٥٠ عاما وأنه من المهم للكاتب ألا يكتفي بالتعرف على الحدث عن طريق المصادر التاريخية وإنما المهم أن يذكره بنفسه (أو يعرف شهود الحدث الذين لا زالوا يذكرونه) ، وتولستوي يرفض أن يكون بعيدا عن الحدث ولم يستطع أن يصف الفترات التي لا تثير فيه كفنان شعورا حيا ومعاناة خاصة . ومن هنا كان تفريقه بين التاريخ كعلم والتاريخ كفن .

كان تولستوي يختلف عن بوشكين الكاتب الروسي العظيم الذي اتخذ من التاريخ مادة لأعماله والذي كان فنانا موضوعيا يستوعب عقله الأحداث ويفهمها في ان تولستوي كان ذاتي النظرة وكان يصل إلى جوهر الموضوع غالبا عن طريق إحساسه وقلبه ، وكان يعارض في رواياته الفنية التاريخ ولا يثق في الوثائق ولا يعتمد عليها . ولكن هناك قاسما مشتركا يجمع بين تولستوي وبوشكين وهو خلق شخصيات لا وجود لها تاريخيا وعدم طغيان الجانب الروائي على الأحداث والشخصيات التاريخية ففي روايات كل من تولستوي وبوشكين يتجاوز "التاريخ الكبير" مع "التاريخ الصغير" ويصب "التاريخ الصغير" في مجرى "التاريخ الكبير" ويصبح خاضعا لمساره ، ومن هذا الجانب يمكن مقارنة قصة

بوشكين "إبنة الأمر" مع "الحرب والسلام" لتولستوي.

ويمكن إدراك الاختلاف العميق بين روايات تولستوي العظيم وغيرها من الروايات التاريخية إذا قارنا قصة "الحاج مراد" مع قصة "بطل القوقاز" التي كتبها موردوفتسوف (وكان تولستوي على علم بها). فأبطال موردوفتسوف يرتبط بعضهم ببعض إرتباطا خارجيا مفتعلا وبصراع روائي باهت.

يركز تولستوي الاهتمام الرئيسي على البطل إلا أنه مع ذلك يعطي وصفا شاملا للخلفية التاريخية فهو يركز الضوء على شخصيتين تاريخيتين رئيسيتين : نيكولاي الأول وشاميل كممثلين للطغاة الأوروبيين والآسيويين.

وتظهر قوة تولستوي الفنية بوضوح عند مقارنة لغة وأسلوب "الحاج مراد" مع "بطل القوقاز"

لموردوفتسوف.